النتاج الجديد

الأصمعي

تأليف الدكتور عبد الجبار الجومرد

مطابع دار الكشاف بيروت – ٣٦٠ ص .

●

اني لأشعر إذ اقلب صفحات كتاب مثل كتاب « الأصمعي » الذي يعنينا الآن ، اني اضع يدي على شاهد لاحد الاعمال الوطنية ، يتقدم به جندي من جنود الفكر ، يدافع به عن حق سليب ، ويمهد الطريق لركب من الحضارة بعينه : يود لو يراه يعاود السير والانطلاق ، تبعاً لسيرة عرفت عنه وعرف بها ، طيلة قرون متطاولة .

ولنبدأ من البداية .

كانت الدولة التي ملأت العصر الوسيط ، واحتلت الصدارة فيه في العالم هي الدولة العربية ولا شك ؛ وكان من نتائج هذه الصدارة ابداع حضارة ضخمة مزدهرة ، حفلت بشوامخ عالمين من رجال الدين والعلماء والادباء والمفكرين ، أمثال اصحاب المذاهب الاربعة وابن الهيثم والبيروني والخوارزمي وابن المقفع والجاحظ والمتنبي والمعتزلة وابن سينا وابن رشد وابن خلدون وغيرهم وغيرهم ..

ثم جاء حين من الدهر ، اصاب فيه هذه الحضارة وهن وضعف ، وضمور وركود ، ثم موت ، او جمود هو اقرب ما يكون الى الموت ، فانقطعت الاسباب بابحاث ابن الهيثم والبيروني ؛ وقؤ رعيل الادباء الذي خلف ابن المقفع والجاحظ والمتنبي ، وخلا نتاجه من كل خلق وطرافة ؛ وسدرت ومضات الفكر بعد المعتزلة وابن سينا وابن رشد واستحالت شطحات صوفية ؛ وضاعت صيحة ابن خلدون في من اتى بعده لتعهد رضيعه الجديد (علم الاجتماع) ، فاهملت كفالته ، وكان من امره ما نعلم ويعلم الجميع .

ولسنا الان في معرض بيان الاسباب لكل ذلك ، فلعل ذلك احرى بسفر او اسفار : تقرر الوقائع ، وتضع القواعد ، وتستخرج الاحكام ، ولكنها لمحة اردنا اثباتها بصدد صدور بعض المؤلفات ، امثال كتاب « الاصمعي » لمؤلفه الدكتور عبد الجبار الجومرد .

لا شك ان الشرق العربي اليوم هو في سبيله الى قفزة حضارية يشعر بضرورتها ويسعى اليها كل عربي صحيح الايمان ، راسخ العقيدة ، واضح الوعي لوجوده وغايته في هذه الحياة . وكل قفزة الى الامام لا ترتكز على اسس متينة هي قفزة فاشلة ، وكل حضارة لا تصل في نموها وتكاملها الى درجة الخلق والابداع هي حضارة ظل ، لا حقيقة لها ولا ثبوت . والخلق في ميادين الحضارة لا يكون الا حيث يوجد جو تتخمر فيه العقليات ومنتجاتها ، وهذا الجو لا يوجد الا بوجود تراث يكون بمثابة الارض الطيبة للبذور الجديدة الصالحة ، يرأمها ويغذيها ، فتمتد جذورها ، وتذهب فروعها في السماء ، فاذا هي حضارة يانعة تسر الناظرين .

إذن ، فكما يسعى العرب الى الحصول على البذور الحضارية مما يكتنفهم من حضارات ، عليهم كذلك ، بل قبل ذلك ، ان يسعوا الى تهيئة التراث الذي ستنمو فيه هذه البذور .

ان هذا التراث موجود ، وهو – الى ما اصابه من نقص وضياع وتلف – متسع ، ذو كنوز ذاخرة . ونظرة واحدة الى كتب الفهارس ، القديم منها والحديث ، تنبئنا بمقدار اتساعه وغناه . وكل ما علينا هو ان نحيي هذا التراث ، ليقوم بدوره الخطير في بناء الحضارة التي نحن بصدد تشييدها .

واحياء هذا التراث يكون بنشه وسلكه في ترتيب علمي سديد ، وتسليط الاضواء عليه ، ولفت الانظار اليه ، وإلباسه حلة جديدة تحببه الى النفوس وتدعوها إلى الالفة معه ، والاقتناس به . ان هذا العمل يساعد على اشاعة الجو الحضاري الذي تحدثنا عنه ، بكل ما فيه من توسيع آفاق وايجاد ثقة بالنفس ، ومحاربة لعنصر الشعور بالنقص المستولي على قسم كبير من مثقفي وانصاف مثقفي العرب في هذا العصر .

ان احياء هذا التراث واجب لما ذكرنا ، وان كان لا يفرض فينا ان نبدأ سيرنا في العلوم والفنون من حيث وقف هذا التراث ، لبعد ما بيننا وبينه من الشقة ؛ ولسحق البون الذي سارته الحضارة العالمية في هذه الفترة .

لقد لاحظ برنارد لويس ، كما لاحظ كل معني بدراسة الحضارة العربية ، ازدهار الحس التاريخي والميل الى اثبات الوقائع عند منتجي الحضارة العربية . ان هذا الميل وذاك الحس ، وان لم يكونا عامين بحيث يشملان كل ظواهر المجتمع البشري في تلك الازمان ، الا انهما بلغا حداً عالياً من الازدهار ، بحيث خلفا لنا اكداساً هائلة من المعلومات ، يمكننا ان نستخرج منها كنوزاً لاحصر لها ، وذلك عن طريقين :

الاول : نشر الموسوعات نشراً علمياً .

الثاني – وهو الافضل اقرب تناوله : استخراج مواضيع كاملة من المؤلفات القديمة ، كما فعل مؤلف كتاب « الأصمعي » ومؤلف كتاب « تاريخ التربية الاسلامية » وغيرهما ، وبسط هذه المواضيع وابرازها بحلة يقبل عليها كل راغب في المعرفة .

وهنا نكرر فنقول : ان الغاية من جلاء هذا التراث لن تكون ايجاد نقطة انطلاق في انشاء حضارتنا المقبلة ، وانما ستقتصر مهمة هذا الاتصال الواسع بالحضارة القديمة على ايجاد جو حضاري متصل بالماضي ، وعلى خلق الثقة في النفوس بامكانية الخلق والابداع في الامة العربية . كما يجب الانتباه الى تحذير النشء من الاطمئنان الى هذا التراث والركون الى امجاده الماضية ، ودعوته الى التوجه بأنظاره الى الامام ، والعمل على تكوين حضارة طارفة تتفق والدرجة الرفيعة التي عليها الحضارات في هذا العصر الذي نعيش فيه .

ان جلاء هذا التراث العربي لن يكون له الاثر الذي ذكرنا فحسب ، بل سيكون من اثره ايضاً التدليل بوضوح وجلاء وتدقيق ، على ان دور الامة العربية في العصر الوسيط لم يكن حمل السيف والسيطرة على الممالك ، كما يطيب نفسه لبعض من في قلوبهم مرض ، فقط ، وانما كان خلق حضارة عالمية خاصة اصيلة ، متكاملة ، ومتصلة – من حيث الجذور – بالاصول الحضارية الشرقية والغربية التي وجدت قبلها ، وقينة في اي زمن ، ولو بعد رقادها القرون المتطاولة ، بأن توجد الجو الصالح لرعاية بذور حضارة جديدة تسهم في اخذ يد الانسانية نحو الاكمل والامثل .

الى هذا النوع المجدي من التأليف يعود كتاب « الاصمعي » ، وسيراً نحو هذا الهدف الجليل قام الدكتور عبد الجبار جومرد بهذا المجهود الطيب ؛ فله ، ولكل من يحذو حذوه في هذا المجهود البناء ، تقدم عرفاننا وعرفان

الاجيال العربية الصاعدة بالجميل .

***

اتخذ المؤلف موضوعاً لكتابه « الاصمعي » ، ذلك اللغـــوي الراوية المحدث الاديب الاريب ، الذي قال له الذواقة هرون الرشيـــد : « لا حسن لدنيا لا يكون فيها مثلك يا اصمعي ! »،والذي قال عنه ابو الطيب اللغوي : « الاصمعي ، احد الائمة الثلاثة الذين اخذ الناس عنهم كل ما في ايديهم من اللغة والادب والشعر »، والذي وصفه الامامان ، الشافعـــي واحمد بن حنبل ، فقال الاول فيه : « ما رأيت بذلك المسكر اصدق من الاصمعي » ، وقال الثاني : « الاصمعي ثقة ». لقد قال الجاحـــظ عنه : « الاصمعي اعذب من تحدث وحكى . » كما قـــال ابو نواس : « الاصمعي بلبل يطرب الناس بنغماته ». ووصل الاعجاب عند اسحق الموصلي بهذه الشخصية حداً جعله يقول : « عجائب الدنيا معروفة ، منها الاصمعي .» .. إذن فنحن مقبلون على رحلة عبر حياة واعمال شخصية نادرة فذة ، شغلت الناس طيلة فترة من الزمن امتدت ما بين سنة ١٢٣ هـ الى سنة ٢١٧ هـ .والمؤلف ، الذي يقوم بمهمة الدليل لنا في هذه الرحلة هو دليل ماهر ، لا تنقصه دربة في الاصقاع التي يقودنا خلالها، كما لاتعوزه الخبرة في ما يثير النفس الانسانية ويأسر انتباهها ، لذلك فلنأمل كل ممتع ومفيد ومثير من رحلتنا هذه ، ونحن لن نكون من الخائبين .

يستهل المؤلف كتابه فيقودنا مع هذه الجيوش العربية المظفرة الـــتي خلفت الجزيرة وبدأت تكتسح الممالك ، ثم يجعلنا في مرقب عال نشاهد منه ولادة مدينة سيكون لها شأن كبير في الـــتاريخ الاسلامي ، انها البصرة .

انها لا تعدو ، في البدء ، ان تكون معسكراً دائماً يكون نقـــطة انطلاق للجيوش الاسلامية الكارة نحو الشرق ، ثم ترتفع فيها اعـــواد القصب تجمع بالطين لتؤلف اكواخاً لسكنى بعض العائلات النازحة مع الجيوش ، وتزول هذه الاكواخ تاركة مكانها شيئاً فشيئاً لبيوت وقصور تنافس مثيلاتها في العاصمتين دمشق وبغداد ، ونحن اثناء ذلك نشهد مظاهر نموها الاقتصادي والسياسي والعلمي بالتفصيل . ثم اذا بأضواء ساطعة تسلط على المسجد الجامع فيها ، فنرى مراحل بنائه ، ونشهد هذه الحركة العلمية الفذة التي تجري فيه ، من حلقات المعتزلة والمتكلمين والحفظة والمحدثين والادباء واللغويين . ثم اذا بنا نشاهد « المسجديين »، وهم تلك الزمرة من الظرفاء التي ضمت الراوية والاديب والشاعر والعالم ومصطنع الحكمة والماجن ، يغشون حلقات الاساتذة ليستمتعوا بما يقع في مجالسهم من نادرة طريفة او شعر رقيق او رواية فكهة او ملحة عذبة او غلطة تنتشر حولها نكات لاذعة .

وتغيب الاضواء عن المدينة لتسلط على « سوق المربد » وهي السوق التي قامت في ظاهر البصرة ، وورثت « عكاظ » ؛ نراها في البدء وقـــد كانت «سوقاً للابل»، ثم اذا بها تصبح مركزاً اجتماعياً وسياسياً وادبياً فريداً ، فيها تلقى الخطب والقصائد والاراجيز ، وتتكتل الجماهير المعنية بالسياسة . نرى هذه السوق وقد املها الفرزدق وجرير وراعي الابـل الشاعر والطرماح وسحبان وائل وخالد بن صفوان وغيرهم . ثم نراها تصبح معيناً للغة الفصحى ينتهلها ابناء المدينة من افواه الاعراب الذين لم يلوثهم لحن ولا لكنة .

ونحن في كل ذلك نستمع الى شرح دليلنا الوافي وملاحظاته النافـــذة واحكامه السديدة ، فنشعر بدنيا من المتعة المفيدة تغمرنا ، وتـــود لو لم تنته تلك الرحلة عبر تاريخ البصرة ... ولكن هيهات ، فمؤلفنـــا كريم وقد حوت مائدته افانين كثيرة ، وعلينا ان نجتزىء من تلك الفترة بما شهدنا لننتقل الى غيره مما يدعونا اليه مضيفنا الأريحي.

ها هو يطلعنا على نشأة الشعوبية ويدلنا على مواقع معسكرهـــا واهم القادة فيها ، كما يشرح لنا الدور الذي لعبته في حياة هذه المدينة وحياة كل بارز من رجالها ، ثم ينتقل الى وصفها خارج البصرة . ولمؤلفنا ابحـــاث واسعة واستنتاجات خطيرة في هذا الموضوع ستظهر قريباً ان شاء الله في مؤلف ضخم سيقلب كثيراً من المسلمات في التاريخ الإسلامي .

وينهي المؤلف هذه الابحاث ، التي ذكرنا لمحة عنها ، بكلمة تبين اصل قبيلة باهلة ، وهي القبيلة التي ينتمي اليها الاصمعي ، وتبين مركزها بين القبائل وأهم رجالاتها .

الى هنا والمؤلف يصف لنا البيئة والعصر اللذين عاش فيهما الاصمعي ، فاذا انتهى من ذلك الذي اعتبره كمقدمة لازمة لبحثه دخل في القســـم الاول من الكتاب وقد خصص للكلام على بني اصمع في البصرة ، ومولد الاصمعي ونشأته ثم اساتذته ثم خصومه في مجتمعه .

لن ادخل في تفاصيل هذا القسم من الكتاب ، بل اكتفي بالقول ،ان المؤلف كان ذلك البحاثة الامين الذي جمع لنا كل ما يتعلق بهذه الناحية من الاصمعي بجد وامانة ، ثم عمد الى عرضه في لوحات صادقة تنبـــض بالحياة والحركة ، فاذا لنا من كل ذلك ، فكرة واضحة جلية عـــن الاصمعي تجعله شخصية حية تتمثل امامنا ساعية نشيطة متدفقة الحيـــوية ، خفيفة الروح ، فصيحة اللهجة طلقة اللسان عذبة الصوت سريعة التقليـــد لمحدثيها ، تتذوق القصة وتصغي لها وتلتقطها بسهولة ، هـــذا الى ذكاء نادر وحافظة جبارة . نرى الاصمعي وقد جعل مجتمع البصرة كله مـــدرسة له ، فاخذ عن الاساتذة في المسجد ، واخذ عن اصحـــاب الحرف في الدكاكين واخذ عن اصحاب المهن السيارين ، ولم يتورع عن اخذ مـــا لدى النسوة والاولاد من طرف وتعابير وافانين . ثم نراه يفيد مـــن المربد افادة جلى ، ولا يكتفي بذلك ، بل يضرب في الفيافي والقفار ، بحثاً وراء البيت النادر من الشعر ، او تحقيقاً ، لقصيدة يحفظها ، في قبيلة من القبائل ، او سعياً للقاء عالم او محدث او امام .

ثم يجعلنا المؤلف نمر في عرض لاساتذة الاصمعي ،فاذا نحن في حضرة ابي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي استاذ سيبويه ، والخليل بن احمد ويونس النحوي وخلف الاحمر ومؤرج بن عمر السدوسي ومحمـــد ابن المستنير البصري والاخفش والامامين مـــالك بن انس والشافعي وحماد الراوية والفقعسي : شوامخ اللغة والادب والرواية .والدين لكل العصور ،فتكبر هذا الحظ الذي واتى الاصمعي ، ويبطل عجبنا لهذه الثروة غير المحدودة التي كان يتمتع بها ، ويعرض من افانينها على العلماء والخلفاء والاقران ، فيثير الاعجاب ، وينتزع السبق والتقدير والاجلال .

ولا عجب كذلك اذا ارثت هذه المؤهلات الغل والحسد في نفـــوس الاخصام ، الذين يعدهم المؤلف ويبين نوع ودرجة خصومة كل منهم نحو لاصمعي . ثم يلاحظ ما للشعوبية من دور رئيس في الخصومة الالم التي تعرض لها الاصمعي في حياته ، عنينا خصومته وتنافسه مع ابي عبيدة ، تلك الخصومة التي حصرتها طيلة حياتهما ضمن نطاقها ، كما تحصر حبال حلبـــة الملاكمة لاعبين يتنازعان لقب البطولة .

ننتقل بعد ذلك الى القسم الثاني من الكتاب ، وقد خصص للكـــلام عن شخصية الاصمعي واخلاقه ، فاذا بؤلفنا يأتزر مئزر القاضي الـــنزيه ويعرض لنا صوراً حقيقية عن رجل كتابه ، فيصف ما فيه من دمامـــة

خفيفة وفتور غريزة ، واهمال لمظهره مع بخل وحرص ، ثم يفتن في اظهار ظرفه وخفة روحه ، الى ان يصل الى ما يثبت به تدينه وصدق لهجته في كل ما نقل او روى .

واما القسم الثالث فقد خصص للكلام على مكانة الاصمعي العلمية ، فاذا به يصف حلقته في مسجد البصرة كما يتكلم عن العلوم التي برز فيها ومذاهبه في تلك العلوم . لقد كان هذا القسم معرضاً لنواحي العبقرية في الاصمعي فاذا بنا نشهد مناظرته مع سيبويه ، ونطلع على مدى تضلعه في اللغة والنحو والادب والشعر والاخبار والانساب .

وننتقل مع المؤلف ، في القسم الرابع من كتابه ، الى قصر الخلد . فنشهد دخول الاصمعي على الرشيد ، والتحاقه بمجالس الادب واللغة في بلاطه . ثم نراه يفيد من ذلك افادات ثلاث : علمية ومادية واجتماعية ، ثم نشهد نكبة البرامكة بعد ان تتبعنا دور الاصمعي فيها ، لنراه يعتزل الرشيد بعدها ويكر راجعاً الى مدينة صباه البصرة .

وبعد ان يخصص المؤلف القسم الخامس من الكتاب للكلام عن الفترة الاخيرة من حياة الاصمعي التي تقع بين تركه لبغداد ووفاته في البصرة فيتكلم عن اخريات ايام الاصمعي كما يتكلم بأسهاب عن طلابه – ينتقل الى القسم السادس والاخير الذي يخصصه لدراسة آثاره .

وهنا يعدد لنا تصانيفه ومؤلفاته فاذا بها تربو على الخمسين ، ثم يبسط آراءه في الادب ، ثم طريقته في رواية اصناف نوادر الاعراب ليخلص من ذلك الى نماذج من رواياته للشعر والامثال والحكم والطرائف والملح والاخبار التاريخية وسير الشعراء .

انها لمائدة شهية يود القارىء لو لم تنته ، ولكن المؤلف يرفعها من امامنا لينهي كتابه بنظرية عن نشوء القصة العربية ، تدرجاً من رواية الخبر الى الملاحم الشعبية كقصة عنترة وابي زيد الهلالي ، هذه النظرية التي هي غاية في التوازن وفي التحليل والاستنتاج المنطقيين .

***

والان ، وبعد ان قدمنا عرضاً موجزاً لمحتويات كتاب « الاصمعي » ، عرضاً نشعر بتقصيره عن اعطاء فكرة كاملة عن الكتاب بما فيه من جهد وما يحمل من فائدة ومتعة ، نعود فنكرر شكرنا للمؤلف على تحفته ، راجين منه ان يسرع بتحقيق الوعود التي قطعها في اصدار كتابه الثاني الذي لا نشك انه سيكون ، الى جانب اخيه « الاصمعي » ، لبنة قوية في التكوين الثقافي للاجيال العربية الصاعدة .

زهير فتح الله

رجال وظلال

قصص وصور قيمة بقلم مير بصري

شركة التجارة والطباعة المحدودة - بغداد ١٦٠ ص

•

ان من يقرأ قصص مير بصري التي انتظمها كتابه « رجال وظلال » يحكم لاول وهلة ان هذا الاديب العراقي الموهوب قد تتلمذ على « الكلاسيكيين » الفرنسيين ، ولا اقصد بالكلاسيكيين بطبيعة الحال امراء الادب الفرنسي في عصر الملك لويس الرابع عشر وما بعده الذين ثار عليهم شبان المدرسة الابتداعية أمثال لامارتين وفكتور هوغو ، ولكنني أقصد معنى أشمل وأعم اي أصحاب الادب المتين الرصين الذين وجهوا عنايتهم الى تجويد اللفظ والمعنى في وقت واحد . فمير بصري كاتب ارستقراطي يهتم بكلماته اهتماماً لا يقل عن غوستاف فلوبير صاحب « التربية العاطفية » او الشاعر زهير بن أبي سلمى صاحب « الحوليات » . وأبطال « رجال وظلال » اكثرهم ارستقراطيون يتطون السيارات ويتنقلون بين العواصم الغربية ويقضون الصيف على سواحل البحر . ولا شك ان بينهم أمثال « وسيم » بطل قصة « ضمان الحياة » وهو موظف صغير يعمل جاهداً لبناء سعادته . واذا استثنينا « أحمد » الفلاح العائد الى ارض « نداء الارض » فلا تجد بين هؤلاء عاملاً او كادحاً .

على ان مفهوم مير بصري نفسه لتعبير « الارستقراطية » يختلف عن المفهوم العلمي . ففي مقال له بعنوان « شعراء الخاصة » نشر قبل سنوات قال يتحدث عن ادب الخاصة «ان هذا الادب صورة صادقة لنفوس عظيمة فاصحابه رجال عظام قبل ان يكونوا شعراء عظاماً . واذكان هؤلاء يمثلون ارستقراطية سامية – هي ارستقراطية الفكر والروح – لم يجدوا في اكثر الاحيان فهماً حقيقياً من عصرهم ومجتمعهم فآثروا العزلة والانزواء وانطووا على انفسهم يستخرجون منها بين الفينة والفينة اناشيد مستخلصة من صميم ذاتهم ، لا يبتغون من الجهر بها غير ارضاء حسهم الفني والافصاح عن خوالج النفس العميقة التي تتصل في مسارب خفية بالعالم الروحاني الامثل بيد ان ابتعادهم عن صخب المجتمع وضوضاء الحياة لم يكن ليجعل شعرهم ادباً ميتاً لا صلة له بالمجتمع والحياة ، فقد وقاه مغبة ذلك الاسفاف صدوره عن معين الحياة الخالدة التي لا تعرف الركود ولا الخمود ...

هذا هو الادب « الارستقراطي » الذي يدعو اليه الاستاذ مير بصري ويطبقه في شعره ونثره وقصصه ونقده وسائر الفنون الادبية التي يزاولها ويتفوق فيها . والاستاذ الى جانب ذلك من كبار رجال الاقتصاد تولى مديرية غرفة تجارة بغداد سنوات عديدة وحرر مجلتها الشهرية التي جعلها ندوة لاقلام النخبة الممتازة من العلماء والاقتصاديين . وله مؤلفات اقتصادية متداولة . اما في الشعر فهو مجدد متفنن ، وقد نشرت له مجلة « الكاتب المصري » (١٩٤٦) ملحمة شعرية عنوانها « نهاية الابطال » نظم فيها اسطورة اسكندينافية قديمة عن حياة « الفايكنج » .

ان مير بصري قد خرج في قصصه عن حدود « الاقليمية » فالى جانب القصص العراقية التي ضمتها مجموعته « رجال وظلال » قصص عديدة يصح ان تقع في مكان ما او زمان ما . فتبدأ المجموعة بقصة « الحكيم الصيني » وهو تاجر ترك التجارة الى العلم قائلا : « ان التجار كثيرون وطلبة العلم اقلاء .. فلأطلب العلم لعلي اصيب حكمة فأفيد البلاد والعباد ! لكنه بعد ان انغمس في الحكمة لم يجد ما يفيد به الناس سوى كلمة نطق بها في عزلته وتبتله : « ان الحكمة الحقيقية هي التي تشعر بها النفوس ولا تنطق بها الشفاه !

والقصة الثانية « الرجل الذي لم ينتظر » مشجية حقاً فهي قصة اديب وانته الشهرة والمال ليلة انتحاره ، وقد صدرها الكاتب ببيت لموسيه « قرع الحظ السعيد عند مروره علي الباب La fortune en passant a frappé à ma porte. واية سخرية ابلغ من سخرية القدر الذي قرع الباب على هذا الاديب البائس حاملا اليه الثروة والصيت الرفيع ليجده قد انتحر

قبل هنيهة .

اما قصة « شاب من شبان العصر » فهي قصة الشباب المتسامي الذي يندفع بحماسة لاصلاح بيئته وخدمة وطنه . واما « ياسر » فهي قصة الشباب المتخاذل الذي يتاح له الدرس في الخارج والحصول على ثقافة عالية فيعود مترفعاً على اهله ومحيطه . و « العودة » قصة انسانية مؤسية ، هي قصة الوطني المتحمس الذي يكافح ويناضل ويذوق آلام النفي والتشريد في سبيل بلاده ثم يعود اليها بعد ان شرب كأس العذاب حتى الثمالة ليجدها غريبة متغيرة فيخرج «الى البرية شارد اللب زائغ البصر يهيم على وجهه .»

وفي « نداء الارض » نرى روح الاقتصادي المصلح تطغى على القصاص فهو يعالج مشكلة القروي المهاجر الذي يتنقل في المدينة بين شتى الاعمال دون ان يجد فيها الراحة التي ينشدها ولا الرفاهية التي حلم بها . ونراه يحار في امر سكناه ، حتى « ابتنى لنفسه خصاً من البواري والصلصال في احدى العرصات الخالية على مقربة من القصور القائمة في ضواحي البلدة . » ويقول المؤلف واصفاً هذه الاكواخ : « وكان امر هذه الخصاص الحقيرة عجباً ، فقد جاوزت الصروح الشامخة فبدت كالاقزام الى جانب العمالقة . وان كان اصحابها لا يدفعون عن مساكنهم اجرة ، فقد ظلوا ابداً تحت وطأة العمران المتوسع ، فكلما شرع باعمار الارض التي نزلوها انذروا باخلائها من الفور ، فحملوا اجزاء بيتهم ومتاعهم القليل ومضوا يتقرون المواضع في طلب عرصة من الارض يحطون فيها الرحال . وكذلك انتقل احمد مرات كما شاءت له الاقدار حتى اذا ما ضاق ذرعاً بجوار هذه القصور التي تطرد كوخه كل آن لتقيم في محله قصراً ، انتحى ناحية قصية ليحظى بالراحة بعيداً عن الاحياء الجديدة المأهولة . بيد ان هذه الارض التي اقام عليها خصه وسط الخصاص الكثيرة كانت منخفضة ، فلم تمض أشهر حتى اغرقتها مياه النهر الطاغية ، فنجا المسكين بأسرته وما استطاع انقاذه من متاعه ومضى يبحث عن محل آخر ينصب فيه كوخه السيار .

اية مأساة انسانية مأساة هذا الفلاح المتحضر ، لكنه يعود في آخر الامر الى الارض ليجد فيها السعادة المفقودة .

ولا يتسع المقام لتحليل قصص اخرى من هذه المجموعة الفريدة . وحسبنا ان نذكر قصة « فتاة التلفون » وفيها حوار بارع بين امرأة مجهولة وشاب يبحث عن الحب جمعت بينهما نزوة من نزوات الاخطاء التلفونية . وتنتهي القصة نهاية غير متوقعة ، اذ نرى فتانا يخطب ابنة السيدة المجهولة فتقول الام : « ان ذلك منوط بالفتاة ، وهي حاضرة فوجه اليها الخطاب ! »

وجدير بنا ان لا ننهي هذه النظرة العابرة في قصص الاستاذ مير بصري دون ان نشير الى براعته في التصوير والتحليل ، فالشخوص التي يرسمها في قصصه وصوره الفنية حية تتغلغل في النفوس والاذهان . فهذا « معلم المدرسة » صورة حية للآلاف بل الملايين من حملة العلم المغمورين ، وهذه « العمة » امرأة ولا كالنساء بعزمها وقوة روحها وطيبة نفسها ... وتذكرنا بعض الالواح الوصفية من قلم الاستاذ بصري بأسلوب فكتور هوغو . فمن قطعه الادبية الرائعة قطعة اسمها L'Enlisement تصف رجلاً تبتلعه الرمال الرخوة شيئاً فشيئاً فكلما يحرك رجلا او يبذل جهداً لانقاذ نفسه يسيخ به الرمل اكثر فأكثر حتى يدفنه حيا . والاديب الفرنسي الكبير يطيل ويسهب على عادته في وصف مراحل هلاك هذا البائس ، فيرسم كل حركة يأتيها وكل خاطرة تساوره . والاديب العراقي كثيراً ما يتبع هذا الاسلوب في طول الوصف ودقته .

من اليقين ان كتاب « رجال وظلال » يضيف ثروة الى القصة العربية الحديثة .

الاعظمية (بغداد) **حازم نبهان**

كتب وردت الى المجلة

(وسينقد بعضها في اعداد قامة)

•

* النواضر في الجزيرة العربية بقلم وداد محمصاني الدباغ
دراسة – مطابع الآداب ، بيروت – ٢٠٥ ص
* فارس الامل بقلم جورج أمادو
ترجمة احمد غربية – منشورات دار الفكر الجديد بيروت – ١٢٢ ص
* محمد علي القابسي بقلم صدقي اسماعيل
صفحة من نضال العرب الحديث – الدار العربية للنشر – ٨٠ ص
* حزب العمال والفلاحين بقلم خالد بكداش
دراسة – دار الفكر الجديد بيروت – ٨٠ ص
* البيان الشيوعي بقلم ماركس وانجلس
ترجمة خالد بكداش – دار الفكر الجديد ، بيروت – ٨٠ ص
* هذا التاج بقلم واصف بارودي
رواية – منشورات المكتبة العلمية – ١٨٠ ص
* اولاد الخليلي بقلم جعفر الخليلي
مجموعة قصص – مطبعة المعارف ، بغداد – ٢٠٦ ص
* استعمار وكفاح بقلم احمد محمد جمال
دراسة – مكتبة الثقافة ، مكة المكرمة – ٢٢٠ ص
* المجنون يعشق الموت بقلم ميشيل الحاج
متفرقات – دار الطباعة والنشر ، عمان – ٩٠ ص
* صور متحركة بقلم سعيد فياض
مقالات وقصص – مطابع الآداب ، بيروت – ٢٢٦ ص
* قطار الظلام بقلم سامي طه الحافظ
مجموعة قصص – مطبعة الهدف ، الموصل – ٩٤ ص
* الحق والقانون بقلم فكتور هوغو
ترجمة سعيد ابو الحسن – مطابع الرافدين بالقاهرة – ٩٦ ص
* النظام السياسي في الولايات المتحدة بقلم دافيد كويل
ترجمة توفيق حبيب – مؤسسة فرانكلين – ٣٢٠ ص
* جني الثمار بقلم رابندرانات طاغور
ترجمة اكرم الوتري – مطبعة دار المعرفة ، بغداد – ١٣٣ ص
* نصف لبنان بقلم عبدالله حشيمه وجوزف حشيمه
عرض عام للاغتراب اللبناني – دار الغد للطباعة والنشر – ١٥٢ ص
* صور بقلم عزمي علي البغدادي
مجموعة قصص – منشورات دار الرواد بدمشق – ١٥٦ ص
* عقلك مفتاح الفرص بقلم و . ج . انيفر
تعريب شفيق اسعد فريد – مكتبة المعارف ببيروت – ٢٤٨ ص
* المدينة الفاضلة بقلم كارل بيكر
ترجمة محمد شفيق غربال – مكتبة الانجلو المصرية – ٢٦٢ ص
* رباعيات بقلم كارل بيكر
شعر – مطبعة الخبر ، البصرة – العراق – ٦٨ ص
* في المجتمع العربي بقلم كاظم حطيط
دراسات – دار الطباعة العربية ، بيروت – ٩٠ ص